-٧-

الإيحاءُ الصَّوتيُّ وَأَثَرُهُ في رسْمِ الصُّورةِ الفَنِّيةِ في القُرآنِ الكَريمِ

الدكتور حَيدر حُسين عُبيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدّمة

الحمدُ لله الذي أنزل علينا كتاباً لا تنقضي عجائبُه ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدنا مُحَمَّدٍ الذي لا تُعَدُّ مُعجزاتُه ، ولا تنقضي مناقبُه ، وعلى آله وأصحابه العسل الذي لَذَّ شاربُه.

أمَّا بعدُ .. فإنَّ دلالة أصوات الحروف على معانيها مسألةٌ نوقشت قديماً ، ولعل أوّل من عرضها من علماء اللغة العربية الأوائل قضية تحت عنوان عريض ، وناقشها ودافع عنها هو أبو الفتح عثمان بن جني (ت:٣٩٢هـ)، فقد كان عالماً ذَوَّاقةً للغة، وَجُلُّ من عرض هذه المسألة بعده إنَّما صَدَرَ عن آرائه وتوجيهاته.

ومن المُهْتَمّين بالدراسات القرآنية في العصر الحديث ، وما توحي إليه الألفاظ الشيخ الجليل سيد قطب (ت:١٣٨٧هـ-١٩٦٧م) رحمه الله ، ولا سيّما في كتابيه : التّصوير الفنّيّ في القرآن ، ومشاهد القيامة في القرآن ، غير أنَّ دراسته لم تتعمقْ إلى درجة بيان أثر كل صوتٍ مُفردٍ من أصوات المفردات في رسم الصورة الفنّية في القرآن الكريم ؛ ولذا فقد جاءت هذه الدراسة لبيان أثر الأصوات على وفق ترتيبها في المفردة في الدلالة على المعنى تدريجياً.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أنْ ينقسم إلى تمهيدٍ ، وثلاثة مباحث وخاتمة.

تناول التمهيدُ بإيجازٍ أقوالَ علماء اللغة في العلاقة بين الدال والمدلول ، وما رآهُ الباحث من خصوصية للقرآن الكريم في هذه القضية .

أمّا المباحث فقد على وفق الآتي :

المبحث الأول : أثرُ الإيْحَاءِ الصَّوْتيِّ في رَسْم صُوَرِ أحوال الإنسان والظواهر الطبيعية.

المبحث الثاني : أَثَرُ الإِيْحَاءِ الصَّوْتيِّ في رَسْم صُوَرِ العذاب.

المبحث الثالث : أَثَرُ الإِيْحَاءِ الصَّوْتيِّ في رَسْم صُوَرِ النَّعيم.

ولقد كان هذا البحث محاولة لبيان جانبٍ يسير من الجوانب الكثيرة لإعجاز القرآن الكريم ، من خلال بيان الأثر النَّفسي الذي تتركه أصواتُ الحروف في فكر وقلب السامع جميعاً ، عن طريق رسم كل حرفٍ لمعنى جزئي ، وصولاً إلى الصورة الكاملة من خلال الألفاظ .. ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة البقرة.

الباحث

❊ ❊ ❊

التمهيد
العَلاقةُ بين الدَّالِّ وَالمَدْلولِ وَخُصُوصيَّةُ القُرْآنِ الكَرِيمِ

ممَّا هو بديهي أنَّ اللغة وسيلَة التواصل والتعبير عن الأفكار، وقديماً عرَّفها ابنُ جني (ت:٣٩٢هـ) بأنَّها: (أَصْواتٌ يُعَبِّر بها كُلُّ قوم عَن أَغراضهم)[(١)]، وفي هذا التعريف مظهران أساسيان:

- أحدهما: كَوْنُ اللُّغةِ أصواتاً.
- والآخر: أنَّها تُعَبِّرُ عن أغراض.

وأحد هذين المظهرين يُسمِّيه أئمة علم اللغة المُحْدَثون الدَّالّ، وأمَّا الآخر فيُسَمُّونه المدلولَ.

وقد اختلف علماءُ اللغات قديماً وحديثاً في علاقة الدال بالمدلول: فاليونانيون القدامى – أعني: أفلاطون وأستاذه سقراط ومن حذا حذوهم- يرون أنَّ هناك صلة بين اللفظ ومعناه، فما أنْ يُنْطقَ اللفظُ بأجراس حروفه حتى يُثيرَ في النفس معناه، وتلك العلاقة بين الدال ومدلوله كانت واضحةً يسيرة التفسير في بدء نشأتها، ثُمَّ تطورت الألفاظ، ولم يَعُدْ من اليسير أنْ نَتَبَيَّنَ تلك الصلةَ أو نجد لها تعليلاً، أو تفسيراً[(٢)]، في حين رفض أرسطو ذلك ،ورأى أنَّ الصلةَ عُرفية اصطلاحية يتواضع الناسُ عليها[(٣)].

وهذه المدرسة ترى أنَّ العلاقة بين الدال والمدلول تنشأ بعد استعمال الناس ما اصطلحوا عليه.

واختلف الهنودُ في ذلك، فمنهم من وجد علاقة صميمية بين اللفظ ومعناه، ومنهم من رفض ذلك وأنكره[(٤)].

---

(١) الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت: ٣٣/١.
(٢) دلالة الألفاظ: د.ابراهيم أنيس، ط ٤، مكتبة الانجلو، القاهرة، ١٩٨٠م: ٦٢-٦٣.
(٣) فصول في علم اللغة العام: د.محمد علي عبدالكريم الردينى، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م: ٢٣١.
(٤) ينظر: البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغوين العرب: د.احمد مختار عمر ،دار الثقافة،

هذا ما كان من علماء اللغة غير العرب ، أما أئمّة العربية الأوائل فقد اختلفوا أيضاً في ذلك – ولكنَّ آراءهم لم تخرجْ عن الرأيين اللَّذَيْنِ مَرَّا آنفاً ،فالخليلُ (ت:١٧٥هـ) يُشير إلى موافقة جرْس الكلمة للمعنى الموضوع إزاءها، فيقول:(وصَرَّ الجُنْدُبُ صريراً ، وصَرْصَرَ الأخطبُ صَرْصرةً ، فكأنَّهم توهَّموا في صوت الجندب مدَّاً ، وتوهَّموا في صوت الأخطب ترجيعاً ، ونحو ذلك كثير مختلف)[١]، وتابع سيبويه(ت:١٨٠ هـ)أُستاذه الخليل في الميل إلى وجود علاقة بين بنية الكلمة ومعناها ، فقال:(ومن المصادر التي جاءت على مثالٍ واحدٍ حين تقاربت المعاني قولك:النَّزَوان ، والنَّقَزان ،وإنَّما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع)[٢].

أمَّا عَبَّادُ بن سليمان الصيمري[٣] وهو من المعتزلة فقد ذهب إلى أنَّ مناسبة اللفظ للمعنى مناسبة حتمية، بمعنى أنَّ اللفظ يدل على المعنى دلالة وجوب لا انفكاك فيها[٤] ، وأنَّ بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أنْ يضع[٥]،قال السيوطي (ت:٩١١هـ) : (وكان بعضُ من يرى رأيه يقول : إنّه يعرف مناسبةَ الألفاظ لمعانيها ، فسُئل : ما مُسمى إذغاغ – وهو بالفارسية الحجر - ؟ ، فقال : أجدُ فيه يَبساً شديداً ، وأراهُ الحجر)[٦]، ثم قال السيوطي : (وأنكر الجمهورُ هذه المقالة ، وقالوا : لو ثبت ما قاله لاهتدى كلُّ إنسانٍ إلى كُلِّ لغة ، ولما صَحَّ وضعُ اللفظ للضِّدَّينِ؛ كالقُرء للحيض

بيروت ، ١٩٧٢م :١٠١.

(١) - العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ، تحقيق: د. مهدي المخزومي ،و د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال:مادة صر:٥٦/١.

(٢) -كتاب سيبويه:أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي ،القاهرة:١٤/٤.

(٣) - لم أعثر على سنة وفاته ، لكنّ أهل التراجم يذكرون أنَّه عاصر المأمون . لسان الميزان : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: دائرة المعرف النظامية ،ط٣، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت – ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م:٢٢٩/٣.

(٤) بحوث ومقالات في اللغة: د.رمضان عبد التواب ، ط٢ ، مطبعة المدني ، القاهره ،١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م :١٨.

(٥) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي : تحقيق فؤاد علي منصور ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م : ٤٠/١.

(٦) المصدر نفسه :١ /٤٠.

والطُّهر، والجون للأسود و الأبيض)[(١)].

وقد تابع ابنُ جني عَبَّاداً فيما رأى ، و دافع عن تلك الفكرة دفاعاً قوياً ، وعقد في الخصائص باباً سماه : «أمساس الألفاظ أشباه المعاني»، قال فيه : (اعلم أنَّ هذا موضعٌ شريفٌ لطيفٌ ، وقد نَبَّه عليه الخليلُ وسيبويه ، وتلقته الجماعةُ بالقبول له ، والاعترافِ بصحته ، قال الخليلُ : كأنَّهم تَوهَّموا في صوت الجُندب استطالةً ومداً ، فقالوا ، صَرَّ ،وتوهموا في صوت البازيِّ تقطيعاً ، فقالوا : صَرْصَرَ، وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفَعَلان أنَّها تأتي للاضطراب والحركة ، نحو :النَّقَزانِ ، و الغَلَيان، والغَثَيان ، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال)[(٢)].

ويمضي ابنُ جني في إيراد الأمثلة على إيحاءات حروف الكلمات على معانيها[(٣)]، حتى ينتهي إلى التأكيد بأنَّ حروف كل كلمة بترتيبها توحي بمعانيها، فكلمةُ «جَرَّ» مثلا إنَّما قُدِّمت الجيمُ فيها لأنَّ أولَ الجَرِّ يكون بمشقة ، ثم جاء الرّاءُ وهو حرفٌ مُكَرَّرٌ ؛ لأن الشيءَ إذا جُرَّ اهتز واضطرب[(٤)].

ويؤكد ابنُ جني أنَّ ذلك موجود في ألفاظ اللغة كلِّها ، ومن رأى شيئاً من ألفاظها لا ينطبق عليه ذلك فأمَّا لعدم تأمّله وتذوقه للألفاظ ، أو لأنَّ أصول اللغة خافية عنه[(٥)].

قال الدكتور رمضان عبد التواب : (وهذا الذي ذكره ابنُ جنّي يصح في بعض نصوص اللغة ، دون غيرها)[(٦)].

والذي يبدو لي أَنَّ ما ذهب إليه الدكتور رمضان عبد التواب هو الصواب ، و إنَّ المتكلم قد يستخدم في نَصٍّ ما لفظة دون أخرى ؛ لأنَّها أدقُّ من الأخرى في إيصال المعنى من خلال إيحائها الصوتي ،أو: جرس حروفها ، فالصورة الفنية في النصوص تشترك في رسمها أمور عدة ، أهمها: الفنون البلاغية كالمجاز والاستعارة والكناية ، وقد تُقَوِّي لفظةٌ ما تلك الفنونَ ، أو ترفدها برافد جديد لإكمال الصورة الفنية ، وما

(١) المصدر نفسه : ١/٤٠.
(٢) الخصائص : ٢/١٥٢.
(٣) ينظر: الخصائص : ٢/١٥٢-١٦٤.
(٤) ينظر المصدر نفسه : ٢/١٦٤.
(٥) ينظر المصدر نفسه : ٢/١٦٤.
(٦) بحوث ومقالات في اللغة : ٢٠.

يرتسم في الذهن عند سماع مثل تلك الألفاظ هو ما يسميه علماء اللغة المعاصرون بالمعنى الإيحائي[(١)] ،وذلك المعنى الإيحائي له خصوصية في القرآن الكريم وتستند هذه الخصوصية فيما أرى على ركنين:

الأول : إنَّ القرآنَ لا تجوز قراءته بغير العربية[(٢)] ، ويحرم ذلك إجماعاً في الصلاة[(٣)]: وذلك يعني أنَّ نصوصه بأصوات حروفها يلفظها العربي ، والكردي ، والتركي ، والمتحدث باللغة الإنجليزية وغيرهم ، ثم يفهم الجميعُ معنىً واحداً ، وبناءً على ذلك فإنَّ العلاقة بين الألفاظ ومعانيها سواء تكوّنت في الذهن بعد المعرفة بمعاني تلك الألفاظ وتعوّد استخدامها ، أم قبل ذلك ، فإنَّها - كما قلتُ- ستُثير المعاني ذاتها في أذهان الناس على اختلاف لغاتهم ، وهكذا يكون المعنى المثار في الذهن عند سماع الألفاظ ذاتها واحداً عند الجميع.

والثاني : أننَّا مأمورون بترتيله ، والغاية من الترتيل التَدَبُّر؛ ولأنَّه أقربُ إلى الإجلال والتوقير، وأشدُّ تأثيراً في القلب ، ولهذا استحِبَّ الترتيلُ للأعجمي والذي لا يفهم معناه[(٤)]: ويبدو لي أنَّ الترتيل يتيح التأمُّل في أصوات حروفه وما تعنيه، وهكذا تتقوى العلاقة بين بعض ألفاظه ومعانيه.

وقد عَدَّ الشيخُ مناّع القطان من صور الإعجاز القرآني أصواته وحروفه ،فقال : (ونحنُ لا نرى الإعجاز في قدْر معين ؛لأنَّنا نجده في أصوات حروفه ،ووقع كلماته ، كما نجده في الآية والسورة)[(٥)].

وأنا حين أميلُ إلى هذا التوجيه وتلك الخصوصية فإنَّني لا أعني أنَّ لجميع ألفاظ القرآن بأصوات حروفها إيحاءاتٍ بمعانيها ، ولكنَّني أرى أنَّ القرآن الكريم قد يرسم صورةً ما، وسعيا إلى كمال تلك الصورة فإنَّه فضلا عن توظيفه الفنون البيانية يستخدم

---

(١) ينظر : علم الدلالة : د.احمد مختار عمر ، ط٥ ،عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٨م : ٣٩.

(٢) تاريخ القرآن الكريم: محمد طاهر الكردي، ط١،مطبعة الفتح بجدة - الحجاز ، ١٣٦٥ هـ ، ١٩٤٦ م:١٩٠.

(٣) مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،ط٣، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م:٣٢٩.

(٤) الإتقان في علوم القران : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ) ، دار مكتبة الهلال ، بيروت :١٠٦/١.

(٥) مباحث في علوم القران : لمناع القطان :٢٧٢.

لفظةً موحيةً سعياً لإقناع المتلقي والتصرف بمشاعره ، ورسم الصورة في نفسه على أتمّ وجه ، قال سيد قطب (ت:١٣٢٤هـ-١٩٦٧م) : (وقد يستقلُّ لفظٌ واحدٌ – لا عبارةٌ كاملة – برسم صورةٍ شاخصةٍ لا لمُجرد المساعدة على إكمال معالم صورة – وهذه خطوة أخرى في تناسق التصوير . خطوةٌ يزيد من قيمتها أنَّ لفظاً مفرداً هو الذي يرسم الصورة ، تارةً بجرسه الذي يُلقيه في الآذان ، وتارةً بظلّه الذي يُلقيه في الخيال ، وتارةً بالجرس والظّلّ جميعاً)[(١)].

وسنوضح- إنْ شاء الله تعالى- فيما سيأتي من صفحات الكلمات التي كان لها أثر بإيحاءات أصواتها في رسم الصّور الفنّية في القرآن الكريم ، كما نرى..

❊ ❊ ❊

(١) التصوير الفني في القرآن : سيد قطب ، مطبعة أنوار دجلة ، بغداد :٩١.

المَبْحَثُ الأَوَّل
أَثَرُ الإِيحاءِ الصَّوتيِّ في رَسْم صُوَرِ الأَحْوالِ الإِنسانيَّةِ والظَّواهر الطَّبيعيَّةِ

أَوَّل الصُّور الإنسانية الجديرة بالوقوف عندها في القرآن الكريم صورة حزن الوالد على ولده، وليس ذلك الوالدُ بوالدٍ عاديٍّ من عامَّة النّاس، بل إنَّه نبيٌّ عظيمٌ.. والنبيُّ كتلة من الإحساس، بل أرق الناس فؤاداً، وأعظمهم رحمة بأمته، فكيف بأقرب الناس إليه؟؟؟

إنَّه سيدنا يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي فَقَدَ أَعَزَّ أبنائه ، وأحبَّهم إلى قلبه ، ومضت على ذلك سنين.. بل هي سنون ، ثم جاءته صدمةٌ ثانية تأخذ ما تَبَقَّى من أثر ذلك الولد ، وهو أخوه الصغير[1] ، فيأخذ القرآن الكريم ذلك المشهد ليُصَوِّره لنا بقوله : ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾[2]، والأَسَفُ أشدّ الحزن والحسرة ،أَضَافَهُ إلى نفسه ، والألف بدلٌ من الياء ، فناداه ، أي : يا أسفي تعالَ ، فهذا أوانك[3] .

قال سيد قطب : (وهي صورةٌ مؤثرةٌ للوالد المفجوع ، يحس أنَّه منفردٌ بهمِّه، وحيدٌ بمُصابه ، لا تُشاركه هذه القلوب التي حوله، ولا تجاوبُه ، فينفرد في معزلٍ ، يندب فجيعته في ولده الحبيب .. يوسف الذي لم ينسه، ولم تُهَوِّن من مصيبته السنون، والذي تذكره به نكبته الجديدة في أخيه الأصغر فتغلبه على صبره الجميل : يا أسفا على يوسف)[4].

ويبدو لي أثرُ الإيحاء الصوتيِّ هنا واضحاً في رسم الحالة الشعورية لسيِّدنا يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ .. من شدة الحُزن.. ومحاولته تفريغ شحناته باستخدام حرفي المد – الألف

---

(١) -ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، ط٤ ، دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م:١١٥/٢.

(٢) سورة يوسف ،آية :٨٤.

(٣) إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم : أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت : ٣٠١/٤.

(٤) في ظلال القرآن : سيد قطب ،ط٣٤ ، دار الشروق ، القاهره ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م :٢٠٢٥/٤.

– في : (يااااا أسفاااا) ، اللَّذَيْن يُعطيان مساحةً للصوت للاستطالة ، وإخراج ما في الجوف من آلامٍ بصيغةٍ أقرب إلى التأوّه.. ولو استخدم الياء ،(فقال يا أسفي)، لم تتهيَّأ له – بسبب تَسَفُّل الياء – المساحة الكافية لإطلاق زفراته ، ونفث آلامه ، وبثّ شكواه إلى ربه ؛ ويمكننا أن نشعر بالإيحاء الصوتي واضحاً إذا ماجعلنا هاتين الكلمتين في قسمين ،أحدهما في : (يااااا)، والآخر في أسفى ، وعلماء التجويد يمدون الألف من الياء بمقدار حركتين على الأقل ، أو بمقدار أربع أو خمس حركات.

ولعل ما هو أشدّ وضوحاً من هذا ، وصفُه تعالى لحال سيدنا يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حين نعى عليه أولادُه إقامته على ذكر يوسف ،وعدم انفكاكه عنه فَلۡنُرَتِّل،ولنتأمل قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦ ﴾[1] ، قال النَّحاس (ت:٣٣٨هـ) : (والبَثُّ أشدُّ الحُزن)[2]، قيل: سمي بذلك لأنَّه من صعوبته لا يُطيق حَمْلَه فيبثه ؛ أي: ينشره[3]، وقال المناوي (ت:١٠٣١هـ) : (البَثُّ تفرقةُ آحادٍ مستكثرة في جهاتٍ مختلفة)[4].

ويبدو لي أنَّ هذه الآية ملأى بالإيحاءات الصوتية ، فالمقامُ مقام حزن أشد من الآية الماضية ، فالآية الماضية وصفت صورة حزن واحدة ، ولكن في هذه الآية هُيِّجَ سيدُنا يعقوب من أولاده بقولهم ﴿ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥ ﴾[5]، فامتزجت لديه مشاعر الحزن والألم والشكوى والمرارة والغضب من عدم فهم هؤلاء الأبناء لشعور الأب تجاه ولده الحبيب الفقيد ... ولنَعُدْ إلى الآية لنتأمل إيحاءات مقاطعها الصوتية :

*- إنَّما أشكو : فالنّون بتشديدها توحي بشدة ما يعانيه سيدنا يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ

---

(١) سورة يوسف : آية ٨٦.

(٢) معاني القرآن الكريم : أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس ، تحقيق : محمد علي الصابوني ،جامعة أم القرى ، مكة المكرمة :٤٥٥/٣.

(٣) تفسير البحر المحيط ، أبو حيان محمد بن يوسف الاندلسي ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمد معوض ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م:٣٣٤/٥

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف : محمد عبدالرؤوف المناوي ، تحقيق : د.محمد رضوان الداية ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٠هـ:١١٤.

(٥) سورة يوسف ، آية :٨٥.

. والاعتمادُ عليها بقوة عند النُّطق كأنَّه يعطي صوت الأنين:(إنن). ثم تأتي الالف الممدودة مداً منفصلاً . ليندفع معها الزفير بأكبر كمية من الهواء من الرئتين . ومحل الألف الصدرُ مَقر العبرات .ومحلّ تَكَسُّر الأحزان . ثم صوت الشين وبتفشيها كأنَّها تنشر ذلك الحزن على أرجاء الكون (أشششش) . ولو لم يكنْ ذلك الحزنُ عظيماً شديداً . لما احتاج إلى النشر.

وحتى صَوْتَي الكاف والواو فإنَّهما وإنْ لم يكونا مُمتدَّيْن. لكنَّهما حرفان فيهما شيء من الرِّقة والخفة . فالكافُ حرفٌ مهموسٌ[1] . وليس للواو قوةٌ . وذلك يتناسب مع حال مَنْ خَيَّمَ على قلبه الحُزنُ فأثقلَ لسانه عن الحروف (الأصوات) القوية .. ولنكمل تأملنا في أصوات الآية ..

*- بَثِّي : قال ابنُ فارس (ت:٣٩٥هـ) : (الباءُ والثاءُ أصلٌ واحدٌ . وهو تفريقُ الشيء وإظهاره)[2] .

ويبدو - أنَّ الباء لكونه صوتاً انفجارياً - قد صور هنا انفجارَ كمين الحُزن المُتدلعة نيرانُه بين جوانح نبيِّ الله يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ . والثاء بقوة النفث المصاحب له كأنَّه صوَّرهُ لنا وهو يرمي جبالاً من الكمد من صدره . ويبثها في أرجاء الكون ..هذا ما يبدو جلياً عند تأمل قوله (بثثثث)..

*- وحُزني إلى الله : ولنتأمل أَولاً في الكلمة الأولى لنرى ما توحيه إجمالاً . قال ابنُ فارس : (الحاء والزاي والنون أصلٌ واحدٌ: وهو خشونةُ الشيء وشِدَّةٌ فيه)[3] . فأما إيحاءات أصواتها فالحاء لصحلها تُشبه مخالبَ الأسد وبراثن الذئب . ونحوهما إذا غارت في الأرض[4] . وفيها بَحَّةٌ يجري معها النفس[5]. والزاي يخرج معها نحو النفخ[6]

(١) - سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني.تحقيق: د . حسن هنداوي. دار القلم - دمشق - ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م. ط١:١/٢٧٩.

(٢) مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . تحقيق :عبد السلام محمد هارون . دار الفكر . بيروت .١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م : مادة (بث) : ١/١٧٢.

(٣) المصدر نفسه : ٢/٥٤.

(٤) الخصائص : ٢/١٦٣.

(٥) سر صناعة الاعراب : ١/٢٤١.

(٦) المصدر نفسه :١/٦٣.

، فهي من حروف الصفير... ويبدو أنَّ هذه الكلمة (حزني) قد وفّرت مساحات واسعة للتنفيس عن الأحزان، فَبَحَّةُ الحاء تشبه بعض الأصوات الصادرة عن التَّنَهُّد المصاحب للبكاء ، ثم الزاي وهي أقوى من الحاء بصفيرها تحاول إخراج كمية من الحزن والألم (حُززز)، وهذا المقطع يوحي إيحاء آخر بالحَزِّ، حَزُّ السِّكين ، فكأنَّ الحزن عمل أولاً في قلب يعقوب كما تحز السكين وبشدة .. (حززز)... ولننتقل إلى ما توحيه الكلمتان مجتمعتين من خلال تأمل المقطع الصوتي: (حزني ي ي ي إلى)، فالياء باستطالتها توحي باستطالة ذلك الحزن وامتداده .. والامتدادُ هنا نوعان : امتدادٌ زمني؛ فقد استمر حزنه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لسنواتٍ طويلةٍ متتابعة ، فاذا كانت ساعةُ الفراق عند المُحبين تعدل سنواتٍ، فكيف بسنوات الفراق ؟!

والنوع الثاني من الامتداد والاستطالة امتداد الحزن ليتشبع بالعروق ويُهمين على الأعضاء ، وسيدنا يعقوب ليس به حاجة إلى إثبات ذلك ، فقد صَّورلنا القرآن الكريم شدَّة ما عاناه بقوله: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤ ﴾ ((١))

• ولنتأمَّل كيف قال تعالى «من الحزن» ،ولم يَقُل من الدمع لنفهم ذلك..

*- الله : لقد كانت شكوى سيدنا يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إلى الله ، وكان لجوؤه إليه تعالى ، وقد نطق بلفظ الجلالة ليُفَرِّغَ شحنات الألم والغضب ، وحرف الهاء آخره يوحي بلفظ جميع تلك الشحنات الى الخارج ، فقد أعلن باحث الطب النفسي الهولندي (فان ديرهوفين) بالمستشفى الاكاديمي بالعاصمة الهولندية (أمستردام) فائدة النطق بلفظ الجلالة فقال :

١-عند النطق بحرف الألف بالعربية وهو حرف مقابل لحرف (A) بالهولندية ، فإنَّ نطق هذا الحرف يُصدر من المنطقة التي تعلو منطقة الصدر أو بدايات الجهاز التنفسي ، وصدور الحرف من هذه المنطقة يؤدي الى تنظيم عملية التنفس بصورة طبيعية هادئة ، وتكرارها يؤدي الى شعوربالارتياح الداخلي نتيجة لانتظام التنفس.

٢-حرف اللام باللغة العربية : وهو حرف لا يقابله حرف تام باللغات الاخرى ، ومنها الهولندية ، بل جزء من هذا الحرف فقط عند النطق ، ونطق حرف اللام بالعربية يأتي

(١) سورة يوسف ، من الآية: ٨٤.

نتيجة لوضع اللسان على الجزء الأعلى من الفك وملامسته ، وهذه الحركة تؤدي لسكون وصمت لثوانٍ أو جزء من الثانية مع التكرار السريع ، وهذا الصمت اللحظي إنَّما يعطي راحة في التنفس ، واستعداداً لنُطق قادمٍ أقوى ، وأوضح في الحروف أو الكلمات التالية.

٣-حرف الهاء : ويُمَهِّد له بقوة ووضوح الحرف الذي سبقه وهو اللام ، وبه تشابه كبير مع حرف (H) بالهولندية ، وهو حرف يؤدي نطقه الى حدوث ربط بين الرئتين – عصب ومركز الجهاز التنفسي وبين القلب- ، ويؤدي الى انتظام ضربات القلب بصورة طبيعية.

وأكد الباحث الهولندي أنَّ تكرار كلمة (الله) بحروفها الواضحة عدة مرات حسب قدرة الإنسان إنما تؤدي إلى تفريغ شحنات القلق ، أو الغضب الإنساني بصورة علمية مجردة[(١)].

قلتُ : وذلك ما كان سيدنا يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بحاجة إليه ، وهو تفريغ تلك الشحنات ، وهكذا يكون القرآن الكريم قد أخذ بأيدينا ليرينا دقائق الحالة الشعورية لدى ذلك النّبي الكريم ، حتى انتهى بنا إلى صورة تفريغه لهمومه وأحزانه من خلال اللجوء الى الله تعالى..

وصورة أخرى من الصور الإنسانية ، تلكم هي صورة مناجاة الإنسان ربه بالدعاء ، وهي مناجاةُ اضطرار وحاجة ، ولجوء بشدة إليه جلّ وعلا ، قال تعالى :

﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ ﴾[(٢)]، وكان دعاؤه عليه السلام لأجل الولد حتى استجاب اللّهُ له ، قال المفسرون: (كان بين الدُّعاء والبشارة ستون سنة)[(٣)].

ويبدو أنَّ الإيحاءَ حصل هنا في كلمة (نداااااءً) فصوتُ الألف فيها يُمد مداً واجباً متصلاً ، واستطالة الألف فيها توحي باستطالة ذلك الدعاء والنداء واستمراره وامتداده لمدة زمنية ، فضلاً عن أنَّ الكلام يُطال مع الأحباء تلذّذاً ، وهكذا هي مناجاة الأنبياء

(١) المنتدى العلمي الثقافي.

(٢) سورة مريم ، الآيتان : ٢و٣ .

(٣) البحر المديد : احمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الادريسي الشاذلي الفاسي ،ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ،٢٠٠٢م-١٤٢٣هـ:٣٠٤/٤ ، وإرشاد العقل السليم : ٣٣/٢.

ربهم تلذّذاً ورغبة.

ثمّ إنَّ المقامَ في سورة مريم مقامُ ذكر تفاصيل قصة سيدنا زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وطلبه للولد ؛ ولذلك فقد استخدم القرآنُ كلَّ الوسائل لإلقاء الأضواء على جوانبها لإظهارها بوضوح تام ، ومنها الإيحاء الصوتي المذكور ، في حين نجده لا يستخدم هذا الأسلوب حين يكون المقام غير ذلك. ومنه قوله تعالى﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[1] ، فالمقام هنا مقام بيان فائدة التجاء الأنبياء الى ربّهم في الشدائد وتنجيته إياهم ، لا مقام بيان صفة الدعاء ، فإن قيل : إنَّ هناك مداً في قوله (وزكرياآآآآ إذ) ، فهل ذلك المدُّ بشيء؟

قلت : يبدو لي أنَّ في إطالة صوت الألف من زكريا إيحاءً واضحاً بالتنويه بذلك النبي الكريم من خلال إطالة النطق باسمه ، فالمقام كما قلت مقام التجاء الأنبياء الى ربهم ونجاتهم بسبب صلاح أعمالهم .. ومن ذلك دعاء سيدنا زكريا ربّه بأن يجعل له علامة على حصول الحمل لزوجه. قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾[2]، فيبدو أنَّه لما أراد العلامة،أوالآية لنفسه أطال الصوت، فاختار أصواتاً تُقْرأُ: (ليييييي آية)، ليبين أنَّه إنَّما أرادها ليزداد هو يقيناً[3]، وليشكر ربه على هذه النعمة إذ شُكر المُنعم واجبٌ، وبه تدوم المواهب الإلهية[4]، وفي كلا الحالين، فإنَّ الآية كانت له هو خاصة..

ويظهر لي في الآية ذاتها إيحاءٌ آخر ، فإنَّنا حين ننطق قوله : [واذكرّ ربك] ،والراء وحده حرفٌ مُكرر[5] ،فكيف وقد تبعه حرفٌ آخر مباشرة دون فاصل من نفس نوعه وصفته وجنسه ؟! هكذا أصبح التكرارُ مُكرراً، وهو أبلغ في تصوير الأمر

(١) - سورة الأنبياء ،الأيتان :٨٩و٩٠ .

(٢) سورة آل عمران ،آية:٤١.

(٣) البحر المحيط :١٦٧/٦.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : أبو الثناء الآلوسي (ت:١٢٧٠هـ) دار احياء التراث العربي ،بيروت :١٥٢/٣.

(٥) الخصائص :١٦٤/٢.

بالتزام الذكر والمداومة عليه ليلا ونهاراً.. وصورةٌ أخرى هي صورة استجابة الله دعاءَ الخائفين، وَصَبِّهِ ا الرحمة عليهم صبّاً، حتى يتملكهم النعاس من شدّة السكينة ويأخذهم النوم، ولنتأمّل لذلك قوله تعالى ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾[1] .

قال سيد قطب : (وهذا التعبير عن النوم بالنعاس الرفيق اللطيف، وكأنّه غشاء شفيف يغشى الحواس في لُطف ولين « أمنةً منه»، فالجَوُّ كُلّه أمنٌ ودعة وهدوء)[2].

ويلوح لي أنَّ لفظة يُغشيكم كان لها الدور الأكبر في رسم صورة نزول السكينة على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فصوت الغين يشبه إسدال الغطاء، والشين بتفشيه يشبه انتشار ذلك الغطاء، وتشديده يوحي بنشر ذلك الغطاء؛ أي: النُّعاس بشدة، و(كُمْ) توحي باستحكام غشيان النعاس لهم وإحاطته بهم إلى الأرض.. وتؤدي أصواتُ الحروف ووقع الكلمات وأجراسها دوراً في رسم صورة الأمر المفروض على إنسان ما دون أن تكون له رغبة فيه، فمن ذلك أنّه تعالى حين أراد بيان تشريعه في مسألة جواز زواج الرجل بزوجة دَعيِّهِ، قال مخاطباً نبيه مُحمَّداً: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾[3]، فالرسولُ لم تكن لديه أية رغبة في الزواج بالسيدة زينب (رضي الله عنها)، فقد كانت زوج دعيّه زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان الدعيُّ في زمن الجاهلية يُعدّ كابن الصلب تماماً، لا يجوز الزواج من زوجه إذا ما فارقها، وقد أراد القرآنُ هنا إبطال عادة التبنِّي فأنزل هذه الآية[4]..

ويظهر لي أنَّ لفظة [زوجناكها] قد انفردت في هذه الآية برسم صورة عدم وجود أي رغبة للرسول` قبل نزول الآية في الزواج بزينب ، فهذه الكلمة بجرسها الثقيل وطولها وكثرة حروفها صَوَّرت لنا صعوبة ذلك الأمر على الرسول` ، وهذه الصعوبة ليست في

(١) سورة الانفال ، آية :١١.

(٢) التصوير الفني :٩٤.

(٣) سورة الاحزاب ، آية :٣٧.

(٤) ينظر تفسير القرطبي(الجامع لأحكام القرآن) :أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تصحيح : احمد عبد العليم البردوني، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م :١٤/١٨٨-١٩٥.

عدم رغبته` –حاشاه- في تطبيق أمر الله أو تهاونه فيه، ولكنَّها من حيث طهارتها في عدم الميل قطّ إلى شيء من شهوات الدنيا ، فضلاً عن شدة حيائه.

ولو تأملنا الفرق بين :" زوجناكها "، و:" زوجناك إياها "،أو: "زوجناك زينب".. لوجدنا فرقاً كبيراً ، هو:

في قولنا زوجناك إياها.. أو زوجناك زينب ، نشعر بتباعد ما بين النبي` وزينب.

في حين نجد أنَّ في لفظة زوجناكها إيحاء بوصل الله تعالى المباشر بين زينب وبين رسول الله` ، وإضافتها إليه وإلصاقها به ، ولذلك فإن زينب (رضي الله عنها): ((كانَتْ تَفْخَرعَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيّصَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقُول زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْق سَبْع سَمَاوَات))[(١)].

ولحدوث هذا المزج من الله تعالى بينهما فالنبي` دخل بالسيدة زينب (رضي الله عنها) دون عقد ؛ لأنَّ الله سبحانه بذلك هو من تولى العقد.

وعكس الصورة السابقة قوله تعالى حاكياً خطاب سيدنا نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[(٢)] ، قال الزمخشري (ت:٥٣٨هـ): (يعني: أنُكْرِهُكُم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها ، وأنتم تكرهونها ولا تختارونها ، ولا إكراه في الدين؟،وقد جيء بضمير المفعولين متصلين جميعاً، ويجوز أن يكون الثاني منفصلاً كقولك: أنلزمكم إياها)[(٣)].

ووصف سيد قطب إيحاء لفظة أنلزمكموها بأنها (تُصوِّر جَوَّ الإكراه بإدراج كل هذه الضمائر في النطق وشد بعضها الى بعض كما يدمج الكارهون مع ما يكرهون، ويُشدّون إليه وهم منه نافرون)[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) : محمد بن اسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ) ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، ط٣ ،دار ابن كثير ، بيروت ،١٤٠٧هـ-١٩٨٧م :باب وكان عرشه على الماء :٢٦٩٩/٦ رقم ٦٩٨.

(٢) سورة هود، آية:٢٨.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق: عبدالرزاق المهدي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت :٣٦٩/٢.

(٤) التصوير الفني : ٩٠.

ويبدو أنَّ هذه اللفظةَ صَوَّرت شدةَ إعراض هؤلاء القوم إلى حدٍّ لو أنّ الهداية شُدَّتْ إليهم شدّاً-وبذلك توحي (أنلزم)، ثم أُديرت عليهم لتُغطيهم وبذلك توحي (كموها) لم يهتدوا ، ولم يقبلوها ، وما ذلك إلاّ لشدة نفورهم عنها.

وقد يتعمَّق القرآنُ الكريمُ في عرض صُوَر خلجات النفوس البشرية ، ومن ذلك صورة الإنسان المنافق ، و ليست هي بصورةٍ لحركات جوارحه بقدر ما هي صورة لحالته النفسية والذهنية والفكرية، قال تعالى﴿ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ١٤٣ ﴾[(١)].

قال الزمخشري: (أي : ذَبْذَبَهُم الشيطانُ والهوى بين الإيمان والكفر ، فَهُم مُتَرَدِّدون بينهما مُتَحَيِّرون ، وحقيقةُ المُذَبْذَب الذي يُذَبُّ عن كلا الجانبين، أي: يُذادُ ويُدفع ، فلا يَقِرّ في جانبٍ واحدٍ ، كما قيل : فلان يرمي به الرَحَوَان ، إلا أنَّ الذبذبةَ فيها تكريرٌ ليس في الذب ؛ ولذلك كان المعنى : كلما مال الى جانبٍ ذُبَّ عنه)[(٢)].

ويظهر لي أنَّ مَنْ تَكَفَّل بالإيحاء الصوتي هنا لفظةُ مذبذبين، ولنعد إلى أصل دلالتها ، فقد ذكر ابنُ فارس أنَّ الذال والباء تدل على الاضطراب والحركة[(٣)]، وحرفُ الذال من حروف الرخاوة[(٤)]، في حين نجد أنَّ حرف الباء من حروف الشدة ، بل هو حرف انفجاري[(٥)]، والذي يبدو لي أنَّ الذال توحي بهشاشة فكرهم ورخاوته الذي ما يلبث أنْ يصطدم بشدة الباء ، وهشاشة الفكر تنبع من كونهم منافقين ، فمرةً يؤمنون وأخرى يكفرون فليس لديهم أي قوة من اليقين ، وأمّا الشدة التي يصطدمون بها فإنَّهم حين يكونون كفاراً يصطدمون بواقع المعجزات ، وحين يكونون مؤمنين يصطدمون بما انغرس في نفوسهم بشيء من القوة من الكفر: وهكذا هُم (مذبذبين) فإذا انتبهنا إلى أنَّ مقطع (ذب) قد تكرر مرتين وجدنا اضطرابَ فكرهم واضحاً ، وعدم استقرارهم النفسي جلياً بيِّناً.

---

(١) سورة النساء ، آية :١٤٣.

(٢) الكشاف :٦١٤/١.

(٣) مقاييس اللغة :٣٤٨/٢.

(٤) ينظر مدخل الى فقه اللغة العربية : د.احمد محمد قدور ، ط٣،دار الفكر ، دمشق ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م:١٨٩.

(٥) ينظر : المرجع نفسه :١٨٩.

وهناك إيحاء آخر في هذه اللفظة إذ يبدو أنَّها توحي بسرعة تقلُّب أفكارهم وتكرار ذلك التذبذب والتبدل الفكري؛ وذلك لأنَّ مخرج الذال قريب من مخرج الباء، فمخرج الذال ما بين الأسنان العليا والسفلى وذلق اللسان[(١)]، ومخرج الباء ممّا بين الشفتين[(٢)]، فالمخرجان متقاربان جداً والمسافة بينهما قليلة جداً، مما يوحي بقلة ثبات فكر هؤلاء على قناعةٍ ما، وسرعة تغيره.

وكما صَوَّرَت الأصواتُ صورةَ التقلب والحركة والاضطراب فإنَّها صَوَّرَت التباطؤ عن النهوض أو التوقف المفاجئ عنها، قال تعالى:﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ ﴾[(٣)].

أي: ليتثاقلنَّ وليتخلفنَّ عن الجهاد، أو ليُبَطِّئنَّ غيره[(٤)]، قال سيد قطب: (ترتسم صورةُ التبطئة في جرس العبارة كلها، وفي جرس ليبطئن خاصة، وإنَّ اللسان ليكاد يتعثر وهو يتخبط فيها حتى يصل ببطء الى نهايتها)[(٥)].

ويبدو لي أنَّ صورة التبطئة حدثت في لفظة (ليبطئن) حرفاً فحرف، فاللام للقسم والياء بداية الفعل، والباء بقوتها تُشبه العرقلة للمسير، والطاء أقوى منها وأعلى في ذلك، وبتشديدها قوة شديدة للمنع، والهمزة توحي بقُرب التوقف، والنون المشددة توحي بالتوقف التام والسكون الكامل، حتى كأنّها عملت عمل مكابح السيارة.

وفضلاً عن تصوير خلجات نفوس المنافقين وأفعالهم فقد صور لنا القرآنُ الحالة النفسية للإنسان الكافر الذي وصفه بقوله:﴿ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ﴾[(٦)].

قال الزمخشري: (أي: كالذي ذهبت به مردةُ الجنِّ والغيلان في الأرض المهمه، حيران تائهاً ضالاً عن الجادة، لا يدري كيف يصنع)[(٧)].. ويظهر لي عند تأمل لفظة

(١) الدراسات الصوتية عند علماء العربية، عبدالحميد الهادي ابراهيم الاصيبعي، ط١، منشورات كلية الدعوة الاسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الاسلامي، طرابلس، ليبيا، ١٤٠١هـ-١٩٩٢م: ٣٧.
(٢) المرجع نفسه: ٣٤.
(٣) سورة النساء، آية: ٧٢.
(٤) إرشاد العقل السليم: ٢/٢٠٠.
(٥) التصوير الفني: ٩٢.
(٦) سورة الأنعام، من الآية: ٧١.
(٧) الكشاف: ٢/١٣٥.

(استهوته) بحروفها الهامسة (س،ت،هـ) أنَّها صَوَّرَت دفعَ الشياطين لذلك الإنسان، ودَفْعُ الشياطين دفعٌ خفيٌّ ، يحصل بخفاء تصحبه الوسوسة الخفية.

وأمّا وصف القرآن للظواهر الطبيعية فمنه ما ورد في سياق ذمٍّ قسوة قلوب الكفار ، والتأكيد على أنَّ الحجر أرقُّ منها ، فقد وصف سبحانه الحجارة بقوله ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ ((١)).

وأرى أنَّ الإيحاء هنا بات واضحاً في وصف الأحوال الثلاثة للحجر :

فأما الأول : ففي جرس(يتفجر)، فهي كلمةٌ موحيةٌ بجرس حروفها بالانفجار، ولاسيما صوت الجيم المشدد ، يُعضِّده صوت الراء وهو بتكريره كأنّه يرينا تشظي التربة عن الماء الذي يشق طريقه من خلالها.

وأما الثاني: يشّقق: وعند تلاوته نسمع صوت تشقق الحجر يقرع أسماعنا، فالياء أول الفعل، والشين بتفشيه يوحي بتفشي الشقوق والفطور وانتشارها على سطح الحجر ، والقاف ببيوسته وتكراره مرتين في الفعل [قْ قَ قْ] يسمعنا صوت اصطدام تلك القطع المتشظية من الحجر بالأرض.

وأمّا الثالث:ففي جرس(يهبط) ، فالياء أول الفعل ، والهاء توحي بالهُوِيّ سريعاً ، والباء تُشبه صوت اصطدامها بالأرض ، والطاء تكاد تُسمعنا الصوت أو الصدى الناتج عن ذلك الاصطدام الشديد. وكما صَوَّرت الأصوات القرآنية الأشياء الصلبة فإنَّها صَوَّرت مذاق السوائل ، ومنه قوله تعالى في وصف البحرين ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ ﴾ ((٢)). فَصِفَةُ كُلٍّ من البحرين توحي بمذاقه ولنتأمل كلاً منهما:

أولاً: عند تلفظنا بقوله (عذب فرات سائغ): فإنَّنا نشعر هنا بحروف لذيذة ، حتى كأنَّها تجعلنا نتذوق ذلك الماء ، فيترقرق في أفواهنا سلسلاً، ويجعلنا نتلذذ بتذوقه.

(١) سورة البقرة ، من الآية :٧٤.
(٢) سورة فاطر، الآية:١٢.

ثانيـاً: وعلى النقيض من ذلك قوله :(ملح أجاج): وعند تأملنا لحاء ملح فإننا نجد صوتها يُشبه صوت تنحنح الإنسان عند شربه لماء شديد الملوحة. تُقَوِّيها لفظةُ أجاج التي تسمعنا صوت مجّ الإنسان لذلك الماء وبصقه إياه بقوة عند شربه.

❊ ❊ ❊

المَبْحَثُ الثَّاني
أَثَرُ الإيحاءِ الصَّوتيِّ في رَسْمِ صُوَرِ العَذاب

حَذَّرَ القرآنُ الكريمُ الخارجين عن منهج الله بالعذاب في الدنيا والآخرة على حدٍ سواء ، وَرَسَمَ ذلك بأصواتٍ تملأ النفسَ رعباً ، وتصمّ الآذان. ولنتأمل قوله عز وجل : ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾[(١)]، والكِسَفُ: القِطَعُ[(٢)].

ويظهر لي أنَّ صورة العذاب التي توعّد اللهُ بها هؤلاء تعاضدت لفظتان على رسمها:

الأولى: (نخسف): فالنون أول الفعل ، والخاء تُشبه صوتَ الخرق الذي يحصل للأرض ، والسين والفاء توحيان في تحقيق نطقهما بالتَجَلْجُلِ والتَّسَفُّل في أعماق الأرض.

وأمَّا الأخرى :(فـ نسقط): فالنون أول الفعل ، والسين توحي بنزول الشيء دون أنْ يَتَعَثَّر، وهكذا هي الأشياء الساقطة من السماء لأنَّها لا يعترضها شيء، والقاف ليبوستها وقوتها تشبه الصوت الناتج عن لحظة الاصطدام بالأرض ، وصوت الطاء بجرسه يُصَوِّر الصوت الناتج عن ذلك الاصطدام من اهتزازٍ وصدى.

كما رسم لنا صورة القوم الذين أنفذ فيهم وعيده، فقال: ﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾[(٣)]، والتي يلوح الإيحاء فيها في لفظتين:

الأولى:(صرعى)، قال ابنُ فارس: (الصاد والرّاء والعين أصلٌ واحدٌ يدل على سقوط شيء إلى الأرض عن مِراس اثنين)[(٤)]، وهي توحي بأجراس حروفها بذلك ، فالصاد بصفيرها توحي بالأصوات الصادرة عن المُهْلَكين ، والراء تُشبه تكرار تلك الأصوات

(١) - سورة سبأ، أية :٩.
(٢) - البحر المحيط : ١٧٣/٧.
(٣)- سورة الحاقة، آية:٧.
(٤) - مقاييس اللغة :٣٤٢/٣.

، ولحظات اضطرابهم في الأرض ، في حين يُشبه المقطعُ الأخيرُ: (عى) آخرَ صيحة يُصدرها الهالك.

وأمَّا الأخرى :(فـ خاوية): قال ابنُ فارس : (الخاء والواو والياء أصلٌ يدل على الخلو والسقوط)[(١)]،وعند تأملنا للمقاطع الصوتية في الكلمة نجد أنَّ المقطع(خا)يُشبه قيامَ الفَزِع بسرعةٍ وَوَثْبِهِ، في حين توحي الواو بالهبوط والتسفل، ويُشبه المقطعُ الأخيرُ(ية) الوقوعَ إلى الأرض، ولفظَ النَفَسِ الأخير.

كلُّ ذلك في الدنيا ، فإذا ما انتقلنا إلى صور العذاب في الآخرة واجهتنا أولُ صورة ، وهي صورة تمنِّي الإنسان دنوَّ عمله الصالح ، وتباعدَ عمله الطالح ، فلنستمع إليه مُتأملين قوله:﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾[(٢)].

قال سيد قطب: (يتألف المشهدُ من ظلالٍ نفسيةٍ تنبعث من تجسيمٍ مُتَخَيَّل. فها هي ذي النفوس تنظر في يوم القيامة، فإذا الذي عملته في الدنيا مُحْضَرٌ بخيره وشره ، وكأنَّما هو شيءٌ مُجَسَّمٌ يحضر، وتواجه به مواجهة حسية لا سبيل منها إلى الفرار. عندئذ تنبعث من هذه النفوس تلك الظِّلال النفسية التي ترسمها مشخصة واضحة: إنَّها لتنفر ممّا عملته هي ذاتها نفوراً شديداً، وإنَّها لَتَوَدّ لو أنَّ بينها وبينه أمداً بعيداً. وإنّها لَلَحظاتٌ بائسةٌ من الحزي والإشفاق والتمني الخائب، تُرسم شاخصةً في هذه الكلمات القصار!)[(٣)].

والذي أراه أنَّ الإيحاء الصوتي رَسَمَ لنا بدقة الأمنيتين كلتيهما:

فالأولى: الخير المُحضر في قوله(خير مُحضَرا): فكأنَّنا نشعر بأنَّ الكلمتين كلمة واحدة ، حتى إنَّهما لتكادان أنْ تمتزجا بين الخير وحضوره، يساعد على ذلك الإدغام بين التنوين آخر كلمة خير، والميم أول كلمة محضراً وعلى العكس من ذلك في..

وأمَّا الأخرى فهي :التي تُنْطق(بينها وبينهووووو أمداً بعيداً): فالمد الحاصل نتيجة إطالة صوت ضمة الهاء نتيجة لمجيء الهمزه بعدها، ومدّ ذلك بإطالة الصوت فيه،

(١) مقاييس اللغة : ٢/٢٢٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٣٠.

(٣) مشاهد القيامة في القران، سيد قطب، مطبعة أنوار دجلة، بغداد:٢٣٦.

يوحي بأنَّ الإنسان يتمنى آنذاك أنّ عمل السوء يبتعد عنه بعداً كبيراً جداً ، حتى لا يراه ، ثمّ لنتأمل لفظة (أمداً) التي توحي بامتداد البعد ذاته، تليها لفظة (بعيدا)وبمدنا لحرف الياء منها، والألف المتطرفة تزداد المسافات التي يتمنى الإنسان بعداً..

ومن ذلك صورة دفع الإنسان الكافر إلى العذاب، قال تعالى﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾[1]، قال أبو حيان: (ومعنى الاضطرار هنا أنَّه يُلْجَأُ ويُلَزّ إلى العذاب، بحيث لا يجد مَحيصاً عنه)[2].

ويبدو أنَّ صورة الدفع إلى العذاب رسمتها لفظة اضطره التي تُنطق(اضطررهوووووو إلى): فالألف أول الفعل ، وجَرْسُ الضاد يُشبه الضرب أو الدفع الشديد ، والطاء أشد منها في قوة الدفع والإلجاء ، والراء بتكرارها وتشديدها تشبه الدفع الشديد المتكرر ، ويطيل ذلك الاضطرار ويصل به إلى نهايته المدُّ الحاصل بضمة الهاء لقدوم الهمزة بعدها.. وهكذا نرى الدفع الطويل إلى النار..

ونجد الإيحاء ذاته في معنى الاضطرار وإنْ لم يكن في سياق العذاب، في قوله تعالى:﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[3]، فنشعُر في إيحاء هذه الكلمة (المُضْطَررر)بشدة الضيق الذي يعانيه الداعي بحيث لم يعد له ملجأ سوى الله ، حتى كأنَّه حُصر في زاوية ضيقة ، وهكذا هو المضطر، محشور في حَيِّز ضيق،تُلْجؤهُ شدةُ الحاجة إليه ، فيزداد الضغطُ عليه شيئاً فشيئاً، وذلك الضغط متكرر شديد..

وليس ببعيد من ذلك صورة وقوع الكفار في النار ، وهي قوله تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ ﴾[4].

قال الزمخشري: (والكَبْكَبَةُ: تكريرُ الكبّ، جُعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى، كأنَّه إذا أُلقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها)[5].

ولم يزد سيد قطب على أنْ قال عن الكبكبة : (يُحدث جرسُها صوتَ الحركة التي

---

(١) - سورة البقرة، آية:١٢٦.

(٢)- البحر المحيط:٢/٧.

(٣)- سورة النمل، الآية: ٦٢.

(٤) - سورة الشعراء، آية:٩٤.

(٥)- الكشاف:٣/٣٢٧.

تتمُّ بها)[١].

والذي أراه أنَّها صَوَّرت بدقة ذلك الوقوع ، ويظهر ذلك بيِّناً عند تأملنا لحروفها وفق المقاطع الآتية:

*-(كُبْ): فالكاف بهمسه يُشبه النزول ،والباء بقوته وانفجاره يُشبه صوت اصطدامهم بالقاع والجوانب..

*-(كِب): بتكرار هذا المقطع نسمع تكرارَ الحركة، وانحدارَ الواقع تقلباً في جهنم ، وأصوات اصطداماته المتكررة.

*-(ووا): والواو توحي بالنزول والتَسَفُّل إلى أدنى نقطة ، والى القعر السحيق فيها –أعاذنا الله منها- .

ولقد استخدم القرآن الكريم أصل هذه اللفظة بلفظ اسم الفاعل في موضع آخر، لكنها لا توحي بالتكرار كما في هذا الموضع ؛ لأنَّ المقامَ لم يكن يتطلَّبُ ذلك ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[٢]، فهاهنا ليست صورة للوقوع المتكرر، وليست بياناً لنوع من الاضطراب، ولذلك لم يتكرر الإيقاع» الكبكبة «، لأنَّ المقام مقام بيان ضَرْبِ المثل للشخص الكافر الذي يمشي ساقطاً على وجهه[٣]، والمقصود الذي لا يرى أمامه من الصراط المستقيم فيضّل عنه، ولفظة (مُكِبّاً) موحية بذلك، فصوت الكاف يُشبه الانحدار والهبوط الحاصل لوجهه نحو الأرض ، وصوت الباء يُصور صوت اصطدام وجهه بالأرض.

ونوعٌ آخر من العذاب يصوره تعالى بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[٤]، ونحن إذ نتلوا هذه الآيات فإنَّنا لَنَكادُ نسمع صوت اصطدام حِلَقِ السلاسل واحتكاك بعضها ببعض، كما نسمع أصوات سحبهم، وإيقاد النار بهم حين نتلوا(يُسْجَرون)، فالسين يشبه سنا النار أول إيقادها ، والجيم

(١) - التصوير الفني : ٩٣.

(٢) سورة الملك، آية:٢٢.

(٣) ينظر: البحر المديد: ١٤٦/٨.

(٤) سورة غافر، الآيات:٧٠، ٧١، ٧٢.

يشبه انقداحها بقوة . والراء يشبه تكرار ذلك الاحتراق من خِلَلِ أجسامهم.

ومن ذلك تصويره لصراخ أهل النّار بقوله: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[1].

قال سيد قطب: (إنَّهُ صوت المنبوذين في جهنم . وهم يصطرخون فيها. وجَرْسُ اللفظ نفسه يُلقي في الحسّ هذه المعاني جميعاً . فنتبين من ذلك الصوت الغليظ المُختلط ماذا يقول؟.. إنَّهُ يقول ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنّا نعمل. إنَّهُ الإنابة والاعتراف والندم إذن)[2].

ويظهر لي أنَّ الفعل(يصطرخون)لا يوحي بالصُّراخ فحسب . ولكنَّه يوحي أيضاً بالصُّراخ الذي يتعالى شيئاً فشيئاً ؛ وذلك لأنَّ الصاد جرسها قوي . والطاء التي تليها جرسها أقوى وأعلى. فضلاً عن أنّه يوحي بتداخل تلك الأصوات واصطدام بعضها ببعض.

❊ ❊ ❊

(١) - سورة فاطر. الآية:٣٧.

(٢) - في ظلال القران : ٢٩٤٥/٥.

المَبْحَثُ الثَّالث
أَثَرُ الإيحاءِ الصَّوتيِّ في رَسْمِ صُوَرِ النَّعيم

رسمت لنا ألفاظ القرآنِ الكريمِ النَّعيمَ الدُنيويَّ بِصُورِهِ المُختلفة، كما صَوَّرت النَّعيمَ الآخروي بألفاظٍ تكاد تجعلنا نشعر أحياناً بتذوُّق ذلك النَّعيم.

فمن النعيم الدنيوي – مثلاً- كثرة الأموال التي امتلكها قارونُ ، فقد صَوَّرَ لنا ذلك بقوله: ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾[(١)]، ومعنى تنوء بهم ؛ أي: إنَّ مفاتيحها لتُثقلهم وتميل بهم إذا حملوها؛ لثقلها[(٢)]، وأقل ما قيل في العصبة: ثلاثةُ رجال، وأكثرها أربعون[(٣)].

وأرى أنَّ لفظة (لتنوووووء)بجرسها صَوَّرتْ لنا تثاقلَ الحاملين لتلك المفاتيح ، وتمايلَهم واقترابهم من السقوط، وترتيب حروفها صور لنا تلك الحركة بدقة مُتناهية، فالتاء أول الشروع بالفعل ،والنون بذلاقته – أي سرعة نطقه – صَوَّرسرعة حركتهم نحو السقوط ، والواو بامتداده:(وُووووء) يشبه ميلانهم وتَسَفُّلهم نحو الأرض، وهو ميلانٌ مُثقلٌ بحجم أحمالهم ،ثُمَّ الهمزةُ بشدتها وانفجارها كأنَّها تُسمعنا صوتَ اصطدامهم بالأرض ، وهو صوتٌ لا صدى له ؛ لأنّ وقوعهم واصطدامهم بالأرض لم ينتج عنه صدىً ؛ لأنَّهم حين وقعوا وقعت الأثقال عليهم.. ثم إنَّ المدَّ المتَّصل الحاصل بسبب مجيء الهمزة بعد الواو المضمومة:(نووووووءُ)حين نُطَبِّقُه نشعر بانقطاع النَّفَس، وهو شعورٌ يُشبه شعورَ مَنْ حمل أثقالاً فوقعت عليه ، وكتمت أنفاسه فخنقته.

ولو كان الحرفُ الأخير هو الطاء مثلاً – كما في كلمة تسقط – لكان لوقوعهم بسبب تلك الأحمال صدىً ، وهذا مالم يكن هنا.

---

(١) سورة القصص، أية:٧٦.

(٢) معالم التنزيل : أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الفراء(ت:٥١٠هـ)، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرون،ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض،١٤١٧هـ-١٩٩٧م:٦/٢٢٠.

(٣) الجامع لاحكام القران :١٣/٣١٢.

وَمِنْ ذلك تصويرُهُ بناءَ المُترفين للقصور، قال تعالى على لسان سيدنا صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مخاطباً قومه: ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾[1]، قال ابن فارس: (النّونُ والحاءُ والتاءُ: كلمةٌ تدل على نَجْرِ شيءٍ وتسويته بحديدةٍ)[2].

فإذا تَأمَّلنا قولَه: (تنحتون) ولا سيما الصوت (نَحْـ) سمعنا حينئذٍ أصوات نحتهم، أو احتكاك آلاتهم بتلك الصخور الصَّمّاء ليجعلوا منها قصوراً، فالنون تُشبه النَّقْرَ بالآلات على الجبال، والحاء يشبه صوت حكها لتلك الجبال. ومن ذلك نعمة سكون الرجل لزوجه، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[3].

قال سيد قطب: (والنَّاسُ يعرفون مشاعرَهم تجاه الجنس الآخر، وتشغل أعصابهم ومشاعرهم تلك الصلة بين الجنسين، وتدفع خطاهم وتحرك نشاطَهم تلك المشاعرُ المختلفة الأنماط والاتجاهات بين الرجل والمرأة، ولكنَّهم قلَّما يتذكرون يدَ الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجاً، وأودعت نفوسَهم هذه العواطفَ والمشاعر، وجعلت في تلك الصلة سَكَناً للنَّفْسِ والعَصَب، وراحة للجسم والقلب، واستقراراً للحياة والمعاش، وأنساً للأرواح والضمائر، واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء، والتَّعبيرُ القرآنيُّ اللطيفُ الرَّقيقُ يُصَوِّر هذه العلاقةَ تصويراً موحياً، كأنَّما يلتقط الصورةَ من أعماق القلب وأغوار الحس (لتسْكنوا إليها)[4].

- ويبدو لي هنا إيحاءان:

*- الأول: إيحاءٌ بالسّكونِ التامِّ، والهدوءِ النَّفْسيِّ، والاستقرارِ ظاهراً وباطناً من خلال حروف الكلمة، فالسين والكاف -وهما حرفا همس- يوحيان بأجراسهما بكل ذلك.

- والآخر: اندفاعُ الرجل نفسياً نحو زوجه، ولجوؤه إليها، تاركاً كلَّ ما عداها وراءه ظِهْرِيًّا، وذلك يتجلى عند مَدِّنا المَدَّ المتصل:(لتسكنووووو إليها)، وهذه هي الحقيقة

(١) سورة الشعراء، الاية:١٤٩.
(٢) مقاييس اللغة: ٤٠٤/٥.
(٣) سورة الروم، آية :٢١.
(٤) في ظلال القران :٢٧٦٣/٥.

فقوة علاقة الرجل بزوجه لا تَعْدِلها قوةٌ، فهو يلجأ إليها في مُعظم أحواله، وسياقُ الآية يؤكد هذا المعنى حين يذكر أنَّ المرأةَ مخلوقة من نفس الإنسان، وأنَّه تعالى جعل بين الزوجين المودة والرحمة..

هذا لأنَّ المقامَ يتطلبُ ذلك، ولكنْ حين يكون المقامُ مقامَ سرد نعم اللّٰهِ على عباده ببيان مراحل حياتهم فإنَّه ليست هناك من إشارة إلى ذلك الانقطاع التامّ من الرجل إلى زوجه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾[1].

فالإيحاءُ هنا في لفظة (ليسْكن) فقد تضمّن تصوير السكون النفسي فحسب، دون الانقطاع التام، فإنْ قيل: إنَّ الواو لجماعة المخاطَبين ولا بد منها، قلت: كان من الممكن أنْ يقال في الآية الأولى: (ليُسْكن إليها، أو: لتسكنوا فيها، أو عندها، أو بها...) ولكنه حين قال: (لتسكنوا إليها) أوحى ذلك بالسكون التام، والاستقرار النفسي، والنوم عندها، والانقطاع إليها؟ ولنتأمل آية أخرى استخدم فيها الفعل ذاته لكنَّها لم تكن لبيان الانقطاع التام، وهي قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[2]، فهاهنا تضمنت لفظتا (لتسكنوا فيه) معنى السكون الظاهر، وهو سكون جسد الإنسان، وخلوده إلى الراحة والنوم، وحينئذٍ تسكن الأعضاءُ وتهدأ الأفكار، وتخفّ الآم المتاعب، ولكن رغم ذلك فإنه لا يصحبه انقطاعٌ تام كما في سكون الرجل التام إلى زوجه المُشار إليه في الآية السابقة.

ومن النَّعيم وعدُه سبحانه لعباده الصالحين بالإقامة الدائمة في الجنة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾[3]، ومعنى لنُبَوِّئَنَّهم: لنُسكننَّهم في مكانٍ هو جديرٌ بأنْ يَرجِعَ إليه - مِنْ حُسْنه وطِيبه- مَنْ خَرج منه لبعض أغراضه[4].

---

(١) سورة الأعراف، آية:١٨٩.

(٢) سورة يونس، آية٦٧.

(٣) سورة العنكبوت، آية:٥٨.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق:

ويبدو لي الإيحاء في لفظتين:

*- الأولى: (لَنُبَوِّئَنَّهُم): فهي بجرسها الثقيل توحي بالإقامة الدائمة التي لا تنفكّ ولا تنقضي، حتى كأنّنا نرى أهل الجنة ماسكين أرضها بشدةٍ لا يفارقونها لحظة، أو أنَّ الله تعالى مَلَّكهم إيّاها ملكاً صرفاً، فهم متمسكون به لا يبارحونه، وما ذاك إلا لشدة النعيم الحاصل فيها.

*- والثانية: (تَجْري): فكأنَّها حين تقرع أسماعَنا تُسْمِعُنا بوضوحٍ الجريان الدائم لأنهار الجنة ، وما ينتج عن جريان تلك المياه من أصوات، وذلك عند تأمُّل الجيم الساكنة فهي بقلقلتها تُشبه الصوتَ الصادر عن انبعاث الماء وجريانه، والراء بتكرارها تشبه استمرارَ ذلك الجريان، والياءُ توحي بامتداده.

ومن ذلك تصوير شدة فرح المؤمن بتلقّيه كتابَه يوم القيامة بيمينه، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ ﴾[1]، ومعنى هآؤم: خذوا[2]، فقد صورت هذه اللفظةُ شدّةَ فرح المؤمن الناجي المتَلقّي كتابَه بيمينه، فالمقطع (ها) يُشبه صوتَ الضَّحِك من الأعماق، ومن صميم القلب، وإطالة صوت الألف فيها .. (هاااااؤم) توحي بأنَّ ذلك الشخص يريد إسماعَ جميع أهل الموقف يوم القيامة صوتَه لشدة سعادته بما لقي من فضل الله ورحمته، حتى كأنَّه يريد أنْ يُشرك جميعَ الناس ويُشعرهم بتلك النشوة العُظمى، ونحنُ حين نرتلها كأنَّنا نطيرُ فرحاً، وسروراً وبهجة ومسرةً وانتشاءً، حتى لا تكاد أطرافُ أصابع إقدامنا تلامس الأرض..

وفي الموضع ذاته، وبعد تعداده سبحانه لِنِعَمِهِ على المؤمن، يُهنّيء الفائزين الناجين جميعاً بقوله: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾[3]، وهنا تُصَوِّرُ لفظةُ « هنيئاً» بما يحصل فيها من مد صوت الياء مداً واجباً متصلاً (هنيييئاً)، ذلك النعيمَ المستطيلَ المُستديمَ، بل إنَّ الاستطالةَ والامتدادَ تكونان للتهنئة، وذلك أعظم في الدلالة على المقصود، اذ ليست الغاية الأكل والشرب دون التهنئ بهما.

عبدالرزاق المهدي، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م:٥/٥٧٣.

(١) سورة الحاقة ، آية:١٩.

(٢) البحر المحيط:٨/٣١٤.

(٣) سورة الحاقة ، آية:٢٤.

ويصف لنا القرآنُ الكريم مشهداً آخر بقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[(١)]، ومعنى يُحبرون: يفرحون، أو يسمعون الغناء في الجنة[(٢)]، ولكننا حين تطرق أسماعَنا هذه اللفظة نشعر بالتلذّذ، فحروفها لذيذة في السمع تنفذ في أعماق الفؤاد.

ومنه وصفه سبحانه للجنان في سورة الرحمن، فقد وصف اثنتين منها بقوله: ﴿ فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ ﴾[(٣)].

قال ابن جني: (النَّضْحُ للماء ونحوه، والنَّضْخُ أقوى من النَّضح، فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف، والخاء لغلظها لما أقوى منه)[(٤)]، ومعنى نضاختان: فوّارتان دائماً وأبداً تفوران بالماء العذب الزلال[(٥)].

ويظهر الإيحاء في لفظة (نضاختان) واضحاً، فالنون بذلاقته يشبه البداية السريعة لفوران ماء العينين، والضاد بجهره وقوته يُشبه الانبعاث القوي لمائهما واندفاعه من ثقب العينين، والألفُ يحكي صوتَ امتداد الماء، والخاء يحكي صوت الخرير الناتج عن كل ذلك. يومنه وصفه سبحانه لأُكُلِ الجنة وظلّها بقوله﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾[(٦)].

وهكذا تلوح لنا الديمومة والاستمرار السرمدي لطعام أهل الجنة حين نتلو (داااائم) فنمدّ الألف، وتلوح لنا في الوقت ذاته استطالة ذلك الظلّ بمدّنا لصوت الألف في (ظلها)، والجنة لا يرى أهلها شمساً ولا زمهريراً، فالظلُّ دائمٌ على سماء الجنة.

ونختم هذا المبحثَ بعرض القرآن الكريم صورتين مُتقابلتين متباينتين، صورة للجنة

---

(١) سورة الروم، اية :١٥.

(٢) المفردات في غريب القران: أبو القاسم الحسين بن محمد(ت:٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلان، دار المعرفة ، بيروت:١٠٦.

(٣) سورة الرحمن ، اية:٦٦.

(٤) الخصائص:١٥٨/٢.

(٥) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى الجزائري، ط٥، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م:٢٣٥/٥.

(٦) سورة الرعد ، آية :٣٥.

ونعيمها، ولقطة واحدة للنار تقوم مقام صورة كاملة تامة، قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾[1]، قال سيد قطب: (ونَشهد هنا لوناً من التناسُق في تصميم اللوحة.. المشهدُ كُلُّه أشربة : أشربة في الجنة وشراب في النار.. الماء واللبن والخمر والعسل.. وأمامها الحميم الذي يُقَطِّع الأمعاء، ولكنَّه يعد شراب، لتتحد الجزئيات، يتوحد الأساسُ في رسم المشهد واللوحات)[2].

- ويلوح لي الإيحاء الصوتي في هذه الآيات في جانبين:

*- الجانب الاول: الموسيقى العامَّة للآيات : فآياتُ الجنة موسيقاها هادئة حالمةٌ لذيذه في السمع، خفيفة في النُّطق، تُشعر المتلقي باللذة في سويداء قلبه، فهي: لبن.. خمر لذة للشاربين.. عسل مصفى..

وحين ينتقل إلى النار فهي موسيقى صاخبة قصيرة فحين نلفظ (حميماً) كأنّنا نشعر بشيء من حرارته، ثم نسمع أصواتَ تقطيعه للأمعاء في (فَقَطَّع) فالقاف بقوتها ، والطاء باستعلائها ترينا التقطيع، ثم تأتي العين لتسمعنا الصوت الناتج عن ذلك التقطيع.

*- الجانب الثاني: إننا حين نتمّ قراءة صورة الجنة يعلق بأذهاننا علوقاً قوياً أصوات الأنهار، فقد تكررت كلمة أنهار أربع مرات، قال ابنُ فارس: (النون والهاء والراء أصلٌ صحيحٌ يدل على تفتح شيء أو فتحه، وسُمِّي النهرُ لأنَّه ينهر الأرضَ؛ أي: يشقها)[3]، وهكذا تتشبع موسيقى الأنهار في الآذان، حتى كأننا نسمع صوت جريان مائها المترقرق عذوبةً.

وعلى العكس من ذلك كأننا نسمع صوت العويل للمُعَذَّبينَ الناجمة عن تقطيع الأمعاء، بل كأننا نسمع أصوات التقطيع ذاتها.

---

(١) سورة محمد، آية :١٥.

(٢) مشاهد القيامة في القرآن:٢٤٧.

(٣) مقاييس اللغة:٥/٣٦٢.

الخاتمة

- وفي خاتمة البحث توصلنا إلى نتائج لعلَّ أهمَّها:

١- إنَّ هناك علاقة بين الدال ومدلوله في كثير من ألفاظ القرآن الكريم يستوي في إدراكها المتكلمون والمتلقون على اختلاف ألسنتهم؛ لأنَّه هو النَّص الوحيد الذي لا تجوز قراءته بغير العربية.

٢- واتضح أنَّ هناك ألفاظاً أدَّت دوراً أساساً في رسم الصورة الفنية في القران الكريم، فهي بأجراس حروفها، ووفق ترتيبها صوَّرت دقائق الأمور كالأحوال الإنسانية المختلفة، وقد استقل كلُّ حرف برسم جزء من الصورة ، أو إنَّه صور لنا معنى جزئياً فإذا أتممنا النطق للفَّظ المقصود تكاملت في أذهاننا الصورة المراد رسمها.

٣- وأنَّ الأصوات القوية والأجراس الصاخبة قد غلبت على صور العذاب سواء كان في الدنيا أم الآخرة كالصاد والطاء والضاد، إلى حدّ يكاد يجعلنا نشعر بشيء من ذلك العذاب أحياناً، وعلى العكس من ذلك فقد غلبت الأصواتُ الهادئة الرقيقة والحروف العذبة على صور النَّعيم دنيوياً كان أم آخروياً إلى حدّ قد يجعلنا نشعر بشيء من التلذّذ والنّعيم حقاً.

❊ ❊ ❊

المصادرُ والمراجع
القُرْآنُ الكَريمُ

١-الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ) ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت .

٢-إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت:٩٨٢هـ١٥٧٤م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣-أيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير: جابر بن موسى الجزائري، ط٥، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٤- البحر المحيط: محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ-١٣٤٤م)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط١ ،دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٥- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي (ت:١٢٢٤هـ-١٨٠٩م)،ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٣٢هـ-٢٠٠٢م.

٦- البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب : د.أحمد مختار عمر، دار الثقافة ، بيروت، ١٩٧٢م.

٧. بحوث ومقالات في اللغة : د.رمضان عبد التواب، ط٢، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٨- التسهيل لعلوم التنزيل : محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، ط٤ ، دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٩. التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، مطبعة أنوار دجلة، بغداد.

١٠- التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي (ت:١٠٣١هـ - ١٦٢٢م) ، تحقيق: د.محمد رضوان الداية، ط١ ، دار الفكر، بيروت،١٤١٠هـ.

١١. الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري

القرطبي(ت:٦٧١هـ-١٢٧٣م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٨م.

١٢- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت.

١٣- الدراسات الصوتية عند علماء العربية : عبد الحميد الهادي إبراهيم الأصبعي، ط١، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي ، طرابلس ، ليبيا، ١٤١١هـ- ١٩٩٢م.

١٤- دلالة الألفاظ : د.إبراهيم أنيس، ط٤ ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة، ١٩٨٠م.

١٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الثناء محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي (ت:١٢٧٠هـ - ١٨٥٤م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

١٦- سر صناعة الأعراب: أبو الفتح عثمان بن جني(ت:٣٩٢هـ-١٠٠٢م)، تحقيق:د. حسن هنداوي، ط١، دار القلم ، دمشق، ١٩٨٥م.

١٧- صحيح البخاري(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله` وسننه وأيامه) : محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت:٢٥٦هـ -٨٧٠م)، تحقيق : د.مصطفى ديب البغا، ط٣ ، دار ابن كثير، بيروت ، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

١٨- علم الدلالة : د.احمد مختارا عمر، ط٥، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٨م.

١٩- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي ،و د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٠- فصول في علم اللغة العام: د.محمد علي عبدالكريم الرديني، ط١ ،عالم الكتب ، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٢١- في ظلال القرآن: سيد قطب، ط٣٤، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢٢- كتاب سيبويه:أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي ،القاهرة.

٢٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ- ١١٤٤م)، تحقيق: د.عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٤- لسان الميزان : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،

تحقيق: دائرة المعرف النظامية ،ط٣، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت – ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م.

٢٥- مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ط٣، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٦- مدخل إلى فقه اللغة العربية: أحمد محمد قدور، ط٣، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٧- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م.

٢٨- معالم التنزيل : أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الفراء (ت:٥١٠هـ) ، تحقيق : محمد عبدالله النمر وآخرون ، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م.

٢٩- معاني القرآن الكريم: أبو جعفر احمد بن محمد النحاس (ت:٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٣٠- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ - ١١٠٨م) تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ، بيروت.

٣١. مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد فارس بن زكريا (ت:٣٩٥هـ - ١٠٠٤م) ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر ، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٢- مشاهد القيامة في القرآن: سيد قطب (ت:١٣٨٧هـ - ١٩٦٠م)، مطبعة أنوار دجلة، بغداد.

٣٣- المنتدى العلمي الثقافي.

٣٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت:٨٨٥هـ -١٤٨٠م)، تحقيق : عبدالرزاق المهدي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م.

❊ ❊ ❊